خالد عبد القادر

شعر

نادية

نادية

شعر

خالد عبد القادر

نادية

إلى نادية ،

التي لم ترَها عينٌ

و لم تخطر على قلب بشر.

خالد

نادية

جليس نفسه

نادية

تُفْضي الحقيقةُ بي
إلى باب
إلى باب
إلى باب
إلى بهوٍ زجاجي
مليءٍ بالرماديينَ

ظلٌّ للخلايا خَلف أفكاري ،
أم الإنسانُ
في صورٍ مجرَّدةٍ من الألوانِ هُمْ ؟

تُفضي الحقيقةُ بي
إلى بيتٍ على تلٍّ
موازٍ للمجرَّةِ ،
كُلُّ نافذةٍ بهِ عيْنٌ
تطلُّ على كواكب كاذبينَ
و كُلُّ زاويةٍ
تشيرُ إلى إلهٍ واحدٍ

قبل الجميعِ دخلتُ
أو بعد الجميعِ
و لم أجدْ باباً لأطرقَهُ
دخلتُ كأنني يومٌ قصيرٌ
لم أجدْ أحداً لأسألَهُ
ماذا سيحدث بعد ذلكَ ؟!

بعد ثانيةٍ ،

أشارتْ لوحةٌ نُسيتْ لـــ دافنْشِي

ألمْ تسمعْ صدى الأبواب خلفكَ ؟!

قلتُ لا

قالتْ

دخلت و هكذا ورطت نفسكَ في الحقيقةِ ،

خُذْ مكاناً حيث يعجبُكَ الجلوس

و راقب الجدران و انظُر كيف أُغلِقت النوافذ

و اختفى بابٌ مررتَ بهِ

تناولْ ما استطعت من المَشاهِدِ

كُنْ جليسَكَ

أنت وحدكَ كنت تجلس هاهنا

و دخلت وحدكَ ، فالتقيتَكَ

قلتُ كيف أكون حين أنظر لي.

أنا

هو

أَمْ أنا

من قال جملتَهُ الأخيرةَ ؟

كان يجلس

كنتُ أجلس

كان في عينيهِ قنْص واضحٌ

و أنا كما يبدو بنفس القنصِ أنظرُ فيهِ

كان في فمِهِ ارتعاشُ سِجارةٍ

و أنا أدخن بارتعاشٍ مثل هذا

بلْ تماماً مثل هذا !

كان فوق ذراعِه اليمنى ندوبٌ

– ربما جرحٌ قديمٌ – قُلتُ

نفسُ الجرحِ ما تركَ الندوب على ذراعي ؟!

ربَّما !

فكرتُ في كوني أمامي
فانتبهتُ لهُ
و في نفسِ انتباهي لالتفاتتِهِ انتبَهْ
قلنا و يحدثُ أربعون من الشبهْ
لكنّ شخصاً ما أتى
ليكون ثالثَنا
لِنهتف واحداً
تُفضي الحقيقةُ بي
إلى باب
إلى باب
إلى باب
إليَّ أنا أنا

نادية

البحرُ آخرُ من يخون

نادية

متوهجٌ فُسفوركَ الأبديُّ ،
روحكَ
ضِحْكةُ الرملِ المُبلّلِ بالنخيلِ و بالصَّدَفْ
يتيمّمُ الماءُ الغريبُ على يديكَ
فلم يَعِدْهُ النورسُ الممشوقُ
مدًّا من صُدَفْ
قبَّانُهُ يَزِن الغياب على ضلوعِكَ
ثم يفردُ في المدى عينيكَ / أجنحة التأملِ
ينثني شلاَّلُ شكِّكَ أن يعودْ
هو لا يَكفُّ عن السفر

البحرُ يسكنُ من يحبُّ
و يعتري من لا يُطيقُ مدائن البللورِ ،
أوطان الخزفْ

البحرُ ميناءٌ يقينيُّ التوحُّدِ ،
ليّنٌ في نظمِ أوجاع المطرْ
البحرُ يثملُ ،
قد رأيتُ البحر يثملُ مثلنا
للبحرِ ظلٌ مستقيمٌ
في عيونِ صبيّةٍ
هجرتْ على خلجانهِ عشاقَها
للبحرِ روحٌ لا تنامُ و تنكسر
مبكاهُ خلف مدينةٍ
أطرافها الحمراء دامية السهر

بل قد رأيتُ البحر يجلس هاهنا
.بمهبِّ أحلامٍ
و يغرس في مسامِ الأرضِ
طفلاً نابتاً ،
في كعبِهِ حزنٌ و قارِبْ
يُقصي السحابة من جفونِ عجوزٍ انْتظَر الزنادَ
و حاصرتْهُ معاركُ اليومِ المغادرِ ،
لمْ يحاربْ
و رأيتُهُ
ينسلُّ في خيطٍ موازٍ للضفائرْ
ها أنت مبتلٌّ بشِعْرِكْ
و الشِعرُ مبتلٌّ بها
و هي التي ابتلتْ خيانة ليلها
فالليلُ أولُ من يخون

البحر لإمرأةٍ تسافرُ بالفصول
و لا ترى
في كلِّ مهزومٍ رخيصٍ دمعَة
حتماً يحبُّكَ...
مثلما يأتيكَ منهُ حديَثُهُ.. مُرَّ الكلامْ
البحر آخرُ قصةٍ تبقى لنا
البحرُ آخرُ من يخون

في مقام الوجدِ فَرْد

ما حاجةُ الشعرِ القديمِ ،
المرمري اللحنِ ،
لامرأةٍ تُكَسر وجهَ شاعرها ،
لتقطف من رؤاه الضوء
و الحُلْم الجميل ؟!
ما حاجةُ اللغةِ السقيمةِ
لإنحناء الصيفِ في كتفيهِ
كي تُنهي أناقتَهُ المطرَّزةَ الجروحِ
وتشتهي أحزان معطفهِ النبيلْ ؟!

ما حاجةُ الحطَّاب من شجرٍ
لطيفِ الصنعِ
مُبتلٍّ بذاكرةِ البلابلِ و الغناء المستحيلْ ؟!
لا شيء إلاّ ما يقدمُهُ لدفء
من قرابين الغصونِ الخُضْرِ
في صبرِ الفصول..
و يحتمي من نوَّةِ الليلِ الطويل

ما حاجةُ امرأةٍ لِمثلي
شاعرٍ.. غنيتُها حتى انتحبتُ
و غردتْني في أماسي الظلِّ عيناها
لِتغلق صبحَها.. عن هدأةِ البَحَّارِ
فالصبحُ المدبَّبُ..
لا يمسُّ البحر أكثر من دليلْ

ما حاجةُ القمرِ المحلِّقِ وحدَهُ
من صدرِ قنديلٍ مُشع
في ثقوب الأرضِ
يترفُ زيتَهُ
لا عانقتْهُ الليلةُ المُلقاةُ
تحت سريرِهِ
أو سامرتْهُ شوارعُ الغيمِ القريبةُ من نوافذِهِ
لِيدنو من ملامحِهِ انكسارُ البرق فوقَ الوجنتينْ ،
و هناك تنمو في تضاريس المحلِّق فرحة

ما حاجتي..
و أنا هنا غيري
لسرب قصائدِ الأبنوسِ في كفي ،
عَصاي
أهشُّ في وجهِ الطريقِ..
"و لا تدعني في مقام الوجدِ فرداً
ثم أمضي

نادية

نادية

كتَبَتْ

لعلَّ بداوةً نفذتْ إلى رئتيكَ من رمل الجنوب
توتُّرَ الأشياء بين يديكَ
أورثَكَ انفصالاً
سِرْت في جسديكَ مُتَّحِدَ الدروب
لعلَّ نطقاً ما تغيَّر في رِيوف كلامِكَ
استبقيتَ جرحَك عند كورنيش المدينةِ
لمْ تطارِحْكَ الشوارعُ غير قُبلتها المميتة
فاستدرت إلى الكتابةِ مفرداً
و أتيتني.

و أنا التي قرأتْ فؤادَك في القصيدةِ مرتينِ ،
رسمتُ خارطة الحنينِ
طويتُ فاتحة الغياب على جفونكِ
كي تراني كلَّما أغمضت
نَمْ
نَمْ يا حبيبي ،
لن يزورَكَ هاجسُ الفقدِ الذي يحدوكَ صحواً
طالما حطّتْ يداي على النوافذ
تحرسانكَ من غبارِ النهرِ في عينيكَ
حاصركَ النشيجُ
و خانكَ الماءُ المُرابِطُ بالسهر

لي في غيابي هدْأةٌ ،
لأرتب الفوضى
و أجْرِدَ مفرداتِ الأرضِ ،
كمْ نقصتْ من الأزهار و الأطفال
و الطيرِ البدائي الحنينِ
كمِ استزادتْ من مداخن
و اشتباكٍ بين حشرجة القتيلِ
و بين أوتار الكمنجةِ و الزناد.
يكفي – حبيبي– أن نحبَّ
لِتصعدَ الأرضُ السماء
و تستقر على جناح يمامةٍ بيضاء
فسرها الغَمامُ / العارفون بأنها الجَنّاتُ
لكنْ شُبِّهتْ للناسِ

يكفي – يا حبيبي – أن نحبَّ
لينهض الشجرُ القديمُ مُدافعاً عنّي و عنكَ
و هاتفاً
أولادي الفقراءُ أنتمْ
فادخلوني آمنينْ

لي هدأةٌ
بعد البلادِ بخطوتينِ
لكي أُريح الحلم من تعب الهويّةِ
مفرداً و اثنينِ واحدنا بكاءٌ
ها هو المنفى قريبٌ
ها همُ الغرباءُ ينقرُ طيرُهمْ
عينَ النشيدِ فلا يرانا.

هاتِ لي بلداً صغيراً في يديكَ إذا أتيت
و هاتِ لي شاياً و نعناعاً
و سُكَّرَ ضِحْكَتين
و هاتِ دفتر ذكرياتِكَ
كي أرى كيف ارتجفت
و أنت تكتبُكَ البلادُ مسافراً فيها و فينا

البردُ يهزمني
و تنتَحُ شِتوتي فوق الأصابع مِلحَها
و الشمس عطلٌ واضحٌ في جبهةِ الشبّاكِ ،
كُرْكِم صوتُها
أوَ كلّما – يا بنتُ – صَعَّدَكِ الحنينُ إليَّ
غِبْتُ على غدٍ ؟!

خُذني قليلاً ،
أخْفِني تحت الوسادةِ
ساوِني بيديكَ في درجِ القصائدِ
مثلَما أخبرتَني
أنّ الرمالَ سريعةُ النسيانِ ،
أنّ البحر ما بيني و بينكَ ليس بحراً
إنّما عينٌ تغالبُ دمعَها
أنَّ الخلود يقيمُ في جهةِ المُحب مدينة عفويّة ،
أنّ الهوى أمرٌ إلهي
و أن الصُدْفة الأولى رسولةْ
كلُّ الذي أخبرتَني صدَّقْتُهُ
من قبل حتى – يا حبيبي – أن تقولَهْ

كُرسيّان

نادية

مُتقابلينِ على أرائكِ وحدةٍ فضيّةٍ
كنّا ،
كما كان البدائيون
لا لغةٌ تُفسر صمتنا
أو خِطَّةٌ
للبدء في شيءٍ
يُسميهِ البلاغيون إيجازاً
لِننهي ما بدأنا من إشاراتٍ
تعدَّتْ
– حين خطَّ ترابُنا فوقَ الأماكنِ ظلَّنا –
عشرين باباً في كتاب الوقتِ

كُنّا مُتعبيْنِ
كأننا جئنا من الجهةِ التي خَلْف المجرَّةِ
حامليْنِ بياضَها
تعباً على تعب
جلسنا في جمالياتِ هذي الأرضِ
نحسبُ زخرفَ الأشياء جوهرها
و نعقد ماء دهشتنا
على رأسِ النهارِ
و نستديرُ هنا هناكَ
لنا نقاطٌ لا تُحدِّدها العيون
لنا مدًى من تيهِ نظرتِنا
و من رؤيا مشرَّدةٍ
على أبراجِ كابوسِ المشاكلِ

نستظلُّ بما رُزِقْنا
من غدٍ طفلٍ
بوادٍ غير ذي زرعٍ
و بيتٍ قد يؤثِّثهُ الحمامُ
لهُ نوافذ باتساعِ قلوبنا
سقفٌ حريرٌ
لا يمانعُ أن تكون الشمس ضيفتَنا صباحاً
أن يكون الليلُ شُبَّاكاً
و بابٌ صاعدٌ
من بحرِ أعيادٍ مُفاجئةٍ ،
سريرٌ واحدٌ
سهرٌ
و مِنضدة
و كرسيّان

كُنّا
تخافينَ الغياب
و تهتفينَ
أيا سحابةُ ضمِّديهِ
إذا تعثر قلبُهُ
و رأتْهُ عينٌ لمْ تُصلِّ عليهِ
يا عنوانُهُ يَمِّمْهُ نحوي
كُنْ أنا

كُنّا

أخافُ عليكِ من جرحِ المدينةِ

فاسْلَمي من كل صوتٍ

لا يبسملُ قبل ذِكْرِكِ

كلِّ أرضٍ

لا تُكبِّرُ في خُطاكِ

و كلِّ نخلٍ لا يُسَاقطُ ساجديهِ

إذا رآكِ

و كلِّ نهرٍ لا يسبِّحُ

باسمِ منْ آتاكِ قلباً فاتِناً

كُنّا

ثلاثة فاقِدين

أنا و أنتِ و صمتنا

مُتناسقِينَ

مُثلثاً ، شحبتْ ملامحُهُ

و منشوراً زجاجيّاً

تخلَّلهُ الدُخَان

الصمتُ يفتقدُ الكلامُ

و أنتِ تفتقدينَني

أمّا أنا

أخشى إذا أغمضتُ عيني مرةً

أبصرتُ ظلَّكِ باكياً

و الفقدُ أعمى يا حبيبةُ

لا يصيبُ سوى الأحبَّةْ

إننا تبكينَ وحدَكِ"

نادية

عيناكِ شهدٌ لم ينمْ
عيناكِ صيفُ الأغنياتِ البكرُ
خوخُ الأرضِ
شلاّلٌ ،
إذا يُلقيهُ نهرٌ من زنابقَ
فوق شال الضفتين
و أنتِ شبّاكٌ تدلّل نجمهُ في الصحوِ /
ضِحْكةُ عندليب ،
أنتِ قولٌ
لم تُصِغْهُ معاجمُ الوصفِ الطويلِ/
و أنتِ يومٌ باذخٌ في الصفوِ ،
أنتِ بعيدةٌ
و قريبة
أو أنتِ أنتِ
إذا أنا أُعْجزتُ وصفاً
أو غُلِبتُ بلاغة

إنّي أحاولُ أن أهنْدِمَ خالداً
ليليقَ
ياؤكِ تحتفي باسمي ،
و باسمكِ تبدأُ الفردوس
هل تبكينَ وحدكِ ؟
إننا تبكينَ وحدكِ
لا أناي و لا أناكِ ،
و لا مسافة ،
شهقةٌ فوق الخريطةِ
قد تُوحِّدُنا
و واحدنا التئامٌ للخفيفِ من التباعدِ

يا حبيبةُ ،
من شموسِ البرتقال صنعتِ صيفي ،
من كـــؤوسِ الياسمينِ سقيتِني

لحدودِ هذا الحلمِ
طابتْ سنبلاتُ شوارعي
و تهيأتْ لغتي
لوصفكِ

كنتُ قبلَكِ
صاعداً في زُرقةِ الليلِ المُفاجيءِ ،
هابطاً ،
لا فرقَ ،
كنتُ مُلائماً للشرخِ
تنصِبُني البيوتُ على الإضاءةِ
مفرداً ،
أو مُمْعناً في الظلِّ كنتُ
و كنتُ كنتُ
إلى سيول من زِحامٍ هدَّني

فرَّتْ بلادي
و التقيتُكِ صدفة
كالقادمينَ من الخريفِ
وضعتُ غفوةَ رحلتي بيديكِ
يطرقني التساؤلُ
كيف ينفتحُ الصباحُ ،
و لي نوافذُ من رمال
لا تحبُّ التوتَ ؟
لي ماضٍ تقوقع شكلُهُ
يلتفُّ نسياناً على الذكرى

فهل تبكينَ وحدكِ ؟
إننا تبكينَ وحدكِ
فاملئِي صدري بياضاً طازجاً
لا تسألي
ما حاجةُ العُشب المجففِ للندى

نادية

نادية

مرمريٌّ

نادية

– خلفيّة –

و كـــ مرمريٍّ
لن أصدقَ ظلَّهُ
قد خانني عشراً
قبضتُ على ثراه بكلّ ضعفي ،
و امتثلتُ لكل منفى
شدَّني

– و بعد –

كم مرمريٍّ مر
يفتحُ لليمامِ سواحلاً في صدرِهِ
يمشي كذاكرةٍ
تؤرجحُها الدماءُ على الحوائطِ
صدقوني
لستُ أعمى ،
خانني ضوء المدينةِ ،
غير أنَّ نبات قلبي
صاعدٌ لله
يسقيه الملائكةُ الصغارُ
و قريتي هي ملءُ كف
من ملاجيء حالمينَ

تثاءب المصباحُ في ظلّي
فبعثر ما احتويتُ من العيال
و أيقظ الميدان في جفني ،
أراكُم
– حيثُ أنتم –
مائلينَ كجرحِ ريحٍ
من زمانٍ مالحٍ ،
أعطبتموني في الصوامعِ
كلّما أرسلتُ كَرَّةَ خُضرتي ،
عادتْ كما عادت عواطفكم
غياباً لا يُفسَّرُ ،
و الغبارُ – إذا كححتُ – غبارُكم

ربيتُموني في المحاجرِ
و اصْطففْتم في حصاي
مُلَثَّمينَ بدهشةٍ
أيُّ الرمال ستنقلُ القرويَّ
من كُحل الجنوب إلى المدينةِ دون دمْ ؟

كم مرمريٍّ ينتهي قيدَ التجارب ،
لا يعيشُ و لا يموتُ
بَكَتْهُ يوماً ما وحيدتُه
فظلَّ على النوافذِ مُلهِماً لليومِ
يكتبُهُ بأحجبةِ الوليِّ إذا بكى
شُقِّيهِ فوق البحرِ ،
يشْف الملحُ منه و يسْترِحْ.

بَكَتْ الوحيدةُ
هل رأيتم كوكب التُّيّاهِ يبطيء خطوةً
أو يستدير من الزجاجِ إلى عيونٍ
وحدها ورثتْ حقيقتَنا البعيدةَ
أننا في الأصل عشبٌ
و التحجُر حوّلَ البشريَّ للتمثال ،
للحَفري فوقَ الأرضِ يمشي ميّتاً.

بكتْ الوحيدةُ..هل بكيتم ؟!

مِن مرمريٍّ واحدٍ.. لله ،
تنقطعُ الرسائلُ
كلمّا كنستْ يدُ الحظِّ الأسابيع القصيرةَ
كان يومُ الأربعاء ،
رأيتُ فيما قد يرى المعصوبُ بالغيطانِ
أن اللهَ يُحيي وردةً
في قلبِ صخرٍ
لم أسلْهُ
يا إلهي ،
أنت تُحيي كلَّ هذا الوردَ كيف يموتُ قلبي ؟!
في الخميسِ ،
كأن موعدنا
- الوحيدةِ و الوحيدِ -
رأيتُ فيما لا يرى اليقظان
أنّ الغائبين ترجَّلوا عن حزنهم
و تآنسوا في آيةٍ لله
إن الحُبَّ يكفي.

يا إلهي
لا تؤجِّلْني على أنقاضِ هذي الأرضِ ،
تعرفُ – جلّ شأنُكَ –
أنّ في قلبي لبنتٍ ما هوًى
لا يستقرُ على دُخَاني ،
كمْ أحبُّكَ
رغم أني لا أُصلِّي ،
رغم أنّ و رغم أنّ
فهل أضيف إلى الخطايا حبَّها ؟!

نادية

غائبان

نادية

قالتْ تعبنا
قلتُ يكفي أننا في الوصلِ نعرفُ
أن أكون و أن تكوني
قالتْ لِنأخُذْ دربَنا الصيفي صوب البحرِ ،
قلتُ البحرُ أضيقُ من حنينكِ أو حنيني

قالتْ: ستذكُرُنا الرمالُ متى اتكأنا
قلتُ لا
للرملِ ذاكرةُ البداوةِ ،
يحتفي النسيان بالأخطاء ،
كم خطأ جميل مثلنا في الكون

قالتْ لو تغيبُ ، أقص ذاكرتي
لعلّكَ حين ترجع
لا يذكرني حضوركَ بالغياب
فقلتُ يا بنتُ ،
المسافةُ أمُّ نسيانٍ
لِتنسي ، أينما يَمَّمْتِ قلبَكِ تذكُريني

قالتْ أخافُ إذا بلادُكَ لمْ تُعِدْكَ
فقلتُ لي كلُّ البلادِ مراكبٌ ،
تُلقي على كفيكِ نهري
لا بلادٌ.\
أنتِ وحدك من تردّ يقيني.

قالتْ أريدُكَ ،
كلمّا اهتزتْ يداي أو اختلجتُ ،
هتفتُ باسمِكَ
قلتُ و اسمكِ معطفي
و قصائدي
و مدى عيوني

نادية

ولد الفترينة والغابة

نادية

يا ناس:

سأضِجّ ُ
سأحرق في الليلِ منازلكمْ
لن أُبقي بالشرفاتِ مشابكَ أحلامٍ أخرى
لم تنشِفْ
الحلمُ لذيذ ،
و الموتُ على حدِ الأحلام ألذ
و تصحيحاً
الموتُ على حدِّ الأحلام خطيرٌ،
لا فارقَ بالموت إذن

لتموتوا في أبعدِ حلمٍ ،
في آخرِ مدٍّ للكفِ و (لم تقدرْ)
(فاليدُّ قصيرةْ)
هل تبصرُ أعينُكمْ في العتمة غيري؟
سأمر عليكم بالترتيب أحذركم مني
لا أعرفُ كيف سأصبح في منتصفِ الليلِ ،
الولدُ الطيبُ عضّتْهُ الطرقاتُ
و لاكَتْهُ الأرصفةُ
و مزقَهُ الأولادُ البِيض
قد أصبح ذا الرِجلِ المسلوخةِ
أو أغدو مذؤوباً
سأطوف البلدةَ ،
أطرق أبواب النوَّامين
و لن ينفعكمْ دقُّ صليب أو فِضةْ

سأجرّ ورائي جيشاً ،
مذؤوبينَ و مرفوضي الأحلامِ و سَفلةْ
و سأزرع تحت شبابيك الجيران طرابيدَ و ألغاماً
كي لا تخرج ساحرة منها فأصير حجر

لا أعرف كيف سأصبح
حين الفجر و ضوء الشمس الراكض خلفي
قد أختبيء و أترك خلفي أثراً ما
ليدُلَّ عليَّْ
في الصبحِ أُقبِلُ أولادَ الحاراتِ
– بَنيكُمْ –
كي أبدو عادياً
(موعدُنا اللّيل)

أقتلكم بيديَّ
و أخلعُ من كل الأوجهِ أعينكم
سأنام عليها
كي أعرفَ ملمس أضواء القاهرةِ على جسدي
القاهرةُ / الغابةُ
و العسكرُ
و الناسُ بها ممسوحو الأوجهِ
و الضوء المسموح الممنوعُ
و سعداءُ الحظِّ ،
الأعناقُ
المجدُ لـــ هورجادا و الشرم
كورنيشُ الليلِ
و علِّمْني ترتيب الهمسِ
و قابلْني بمكانِ الأمسِ

أخيراً
حاولتُ
و لكنّ الاشياء سترتاحُ كثيراً للبعدِ
فدعْنا
الولدُ الأبْنوسيُّ الكف ،
البنتُ الفائرةُ التنهيدة كُنا

آهٍ
يا ناس ،
ولدُ الفترياتِ و عُلبِ الليلِ
و مرتادُ بيوتِ السردينِ
و صائدُ أحزان الشعرِ
المحتجُّ عليكم

القاطنُ بالليلِ
المولودُ على صدرِ الأختامِ السوداء يديكمْ
من داس عليهِ
من قَصَل الأحلامَ البيضاء يديهِ

يا عالمُ ،
تقدرُ أن تسع الصدأَ النازِح من خوذاتِ القتلى
تسع سؤالَ المفقودين على أمكنةٍ
لم تجرحْهم بعدْ
تسع النهنهة الليليَّةَ
إذْ نادتْ من غاب و سافرْ
تسع الكلَّ
أتقدرُ أن تسع الأحلامَ المرفوضة ، تِلكْ ؟

تجريب

كم امرأةٌ ستعرفُ
أنَّ هذا الحبّ تجريب الممات
و أنَّهُ سورٌ من الكلماتِ
إن نتعَدَّهُ.. نخسرْ ؟!

الأخيرُ ضاحكاً

نادية

جارٌ عجوز
يفتحُ الشُّبَّاكَ
يغلقهُ
و يضحكُ.

يشعلُ المذياعَ
يأتي صوتُ ثومة
ربّما عزَّ اللقاءُ
فيغلقُ المذياعَ ،
و المذياعُ يضحكُ.

يستزيدُ من السجائر و السُّعال ،
يعدُّ قهوتَهُ على نار انتظارٍ هادىء
يتصفح الألبومَ
حيث هزائم الماضي
و يعقدُ حاجبيهِ
إذا تذكّر وردةً نيليَّةً
نبتتْ على كتفيه في صيفٍ قديمٍ

يفتح الشطرنج
يلعب وحده عشرين دوراً
دون طابيةٍ
فما جدوى الحصارِ
سيقتل الملكَ الوزيرُ
ويقتل الملكَ الوزيرُ

و يسقطُ المِلكانِ
تقتسمُ العساكرُ ما تبقى من هزيمتهِ
على السجّادِ
ثم تقومُ
تضحكُ.

شارداً ؛ يلقي النكات على مسامعِ قطةٍ بيضاء
تمسحُ فيهِ وحدها
وتضحكُ.

يرتدي فرحاً خفيفاً
لا يخصُّ الناس
يضبطُ طاقم الأسنانِ
يتركُ بابَهُ نصفينِ
يخرجُ سيداً للّيلِ

يختارُ الشوارعَ
كيفما يُحْنيهِ عكازٌ
على أسماءِ من غابوا
يسمي كُلَّ ناصيةٍ
فأولى
باسمِ من تركتْهُ و التحفتْ بياضاً لا يطاقُ
و هذهِ
باسم الحفيدةِ ،
ما اسمُها ؟!
حسناً
سيسألها إذا زارتْهُ
تعرفُ أنّه شيخٌ و يَنسى
هل ستعرفُ أنّه شبحٌ و يُنسى ؟

هذهِ

أو هذه

أو هذه

باسْمِ الذين تساقطوا بجوارهِ

أمّا الأخيرةُ باسمهِ

هو سيدٌ للّيلِ

تعرفهُ المقاعدُ في محطّات انتظار الباصِ

يحفظُ كل أرقام الذهاب

و كل أرقام الإياب

و لا يغادرُ مقعداً

ينمو بظهر حديقةٍ مهجورةٍ

كانتْ لعشّاق

و لكنَّ المدينة دخَّنتْها

جالساً هو
بينما لكزتْه ناحيةٌ ليعبر
كان يعبرُ بينما ظلٌّ رصاصي
يحيطُ بكلِّ شيءٍ
هابطاً للأرضِ
يضحكُ

يلتقي ملكانِ في صوتينِ مختلطينِ بالميدانِ
ضحكته
و ضحكة موتهِ

و الآن يضحكْ

حصان المِلح

نادية

يقْدَحُ شر حوافرهِ
يشعلُ مرجان البحرِ
يدوس بيوتَ الرملِ
و يطلقُ للغيب صهيلَهْ
يخرجُ
من جهة الملحِ
كأعراسِ المولِدِ
لا فارس لَهْ.
أبيض.. أبيض ،
و جناحاه سماوانِ كذاكرةٍ ناصعةٍ
في السهو و في التذكارِ معاً

و لهُ معرَفة من طينٍ أبيض
و زفيرٌ ناريُّ اللهجةِ
صهوتُهُ زوغ مَدى

ما مر على بلدٍ
إلاّ و اشتعلتْ فتنةْ

مر على البدو ،
فأقسم شيخُ قبيلتِهمْ
أنَّ الوحي تنزَّلَ في الليلِ عليهِ ،
و بشرهُ المائدةَ السوداء
ستصعدُ من خاصرةِ الأرضِ
إذا حفروا الآبارَ ،
فحفروا

خرج طعامٌ
لا تأكلُهُ إلاّ الآلاتُ
فباعوا خيمتَهم ،
زرعوا أعمدةَ الأسمنتِ عراء يتطاولُ ،
أكَلتْهم آلهةُ الحرب
و نقرتْ زيت بواقيهم غربان الأطلنطي

مر على القريةِ
فامتلأتْ عينُ سواقيها بقمائن ثأرٍ
و اشتعل القمحُ إراديّاً
كي يصحو جوعُ القريةِ كلّ صباحٍ
و يفتش عن جُرنِ حليبٍ في ضرعِ الأرضِ
و يستسقي طنبور النخلِ
يهزّ الجذعَ فيهتزّ قتيلاً..
يسَّاقط دمْ

مر على مدنٍ نائمةٍ
مثخنةٍ تلعقُ دمعتَها
فانقلبتْ ثعباناً يسعى
يقضمُ حاراتِ السودِ
و يلقِمُ ما يُلقِي الناس على الأرصفةِ
و يفتلُ سفراً في الساحاتِ
يُعلِّقُ مشنقةً في باب العودةِ
يقْسمُ جسدَ الصارخِ
- جوعاً..خوفاً —
في نهرينِ حرس

مر على غيمٍ
فتقشّر موطنُهُ
و تكشَّف عن عطشٍ
و استعصم بالغُربات
و تركَ الأرض سفينة غرقى

مر على الكلّ
و وقف على نافذةِ العالمِ جسداً يتوهّج

نادية

مِن خطابات المارينـــز

و كأنكَ الذي كنتَهُ يا عراق !

نادية

نخشى إذا انحسرتْ دماؤكَ
عن شوارعِنا
انفتحنا في صباحٍ
ليس يملؤهُ الحنينُ إلى القتالْ

نخشى فراغَ المشهدِ الشرقي
من ضوضاءِ لعبتِنا ،
سننمو مثل بُندقةٍ
على صدر الفراشةِ هاهنا ،
و نعيدُ ما مضغ المغولُ إلى فمِ الأسطول
نضحكُ من قبائلكَ العجوزِ
و كاحتفاء بالطوائفِ ،
نشعلُ الأعيادَ في دمِهمْ ،
نُعلِّقُ بعضهم شجراً / نوافذَ من رمالْ

نخشى إذا صدئتْ بنادقُنا ،
تسلقتْ السنابلُ أنف حاملةِ النسورِ ،
تشوَّش الرادارُ
إذْ حطَّ اليمامُ
على حوائطَ صدِّنا
و اعشوْشب الجتريرُ في شطِّ الفراتِ ،
استشْجر الزيتون دباباتِنا ،
و استأنس الهليكوبتر النخلُ النحيلْ

الأرض ضفدعة
تُوازِن قفزَها في زيَنا النفطيِّ ،
نعرفُ أن هذيْ الحرب مُلهمة لهوميروس ،
لَكنّا سنخفي في حِصانِ القمحِ بعض المفرداتِ ،
فتنتهي قوميّةُ الفُصحى !

تصلُ الرسائلُ شاهقاتٍ في البياضِ
كأنها عبرتْ وريداً ما ..عِراقيّا

و تَيمُّناً باسمِ الفريسةِ
يا حبيبي —
قد نسمي طفلَنا بغدادَ

كم كتبتْ يدُ امرأةٌ
لجندي برحلةِ صيدهِ ،
ظلَّتْ ترتبُ في مساء جوانتنامو
من أنينِ أصابع الأسرى بيانو،
ثم تغزِّلُ
من عيونِ أرامل الصحراء
مفرشَها المُفضَّلْ

(جينا)
تحبُّ النومَ في علمِ العراق ،
و كلّما خُنَّاكَ راحتْ تشتهي بلح العراق
و زيتهُ.. أو دمعهُ
أنجبتُ منها طفلكَ الثاني
فأسمتْهُ (عُديّا)

هو – طفلُنا نحنُ الثلاثةِ –
لا يريدُ سوى رضاعة غيمةٍ بدويّةٍ ،
أحضِرْ لنا هذا العراقَ ،
و حبذا لو كان حيّا !

هكذا... كتب الرئيسُ إلى الجنودْ

سبعةُ أخطاء

نادية

مثلُ الأسماءِ المُعتلّةِ في ذهنِ الناسِ
و كالغرباءْ
عفواً
(غرباءٌ) لا تكفي ما أصبح فينا
صَدِّقْ
أحترفُ الآن العدَّ على طقطقةِ الصدرِ المجروح
سبعة أخطاءْ

(1)

بنتٌ
أطفأتُ جبينَ الوقتِ لأجلِ المريلةِ الكحليّةِ ،
فابيضَّتْ
من أول لمسةِ ذهب للبِنصر

(2)

صدقتُ بأن الكف المبتورةَ
تحتاج قليلاً من جهدٍ لتعودْ
لكنّ الفقر بلا شرفٍ..
(وانظُرْ كتب التاريخِ و علم النفسِ
و حكم الناسِ على الأشياءْ)

و بنفسِ الدرجةِ
دربُ كفاحٍ
لن يكفيهِ العمرُ لكي أنجب أطفالاً مرتاحينَ /
عرائس بحرٍ /
حلم الناس المغلّيين السودْ
لكنّي و بدرب آخر
يمكنني بأناقةِ ثوب
من جلدٍ و جماجم و دماء تشبهني قبل التغييرْ
أن أضحكَ بشراسةْ

(3)

احتجتُ ثلاثة أعوامٍ
كي أمشي وحدي
و ثلاثة أعوامٍ أخرى كي أنطقَ باسمي
بطريقةِ (لا تضحكْ مني)
أربكني طولُ الأسماء الممتدة
من أول كسرٍ باسمي حتى آدمَ
أخطأتُ العدَّ فقطْ
و لهذا- أحياناً –
قد أنسى ما اسمي هذا
أو أبدو مترعجاً جداً
من شكلي في المرآةِ / عيونِ الناس
لا أنسى أن الناس مرايا و مسافةْ

أعوجُّ على ساقي
أتسكّعُ وحدي
أبتلُّ على الطرقاتِ
وأمطرُ ألواناً داكنة جداً
قاهرة ..أكتظُّ بها
و بدونكِ
من بُعد ذراعكِ
كتفي مشروخةْ

آهٍ..
أتأبطُ همسكِ
و أغالب حرقاً يتبعني
تركلني علبة (بيرةْ)

قاهرة..
تتخففُ من وحيكِ
و تخبيء وجهكِ مني
فأرتب حقدي في صدري
و أميلُ..خطأٌ

(4)

من جرحٍ قِبْلِيٍّ.. نأتي
علِّمني كيف نضيء طريقَ الصلصال الأسمر
و الظلمةُ في البشرةِ أكثرْ
يا جَدِّي
علِّمْني الآنْ
و الآن فقطْ
لا أضمِنُ أن أبقى ممهوراً بكلامك
قد أصدأ من حلماتِ النفط المُرَّةِ
في البلدانِ المُرَّةْ

عَلِّمْني
كم وجعٍ يتحتمُ أن يعبرني
أو أعبرهُ
لأجيدَ نشيداً صوفياً مثلك
كم بدويٍّ سوف يضلّلني
كي أعرفَ أي طريقٍ
قد ينقض علي ..الآن
عَلِّمْني
كي أعرفَ
هل يبتسمُ الموتى
حين نمدُّ أصابعنا
و نغامر بالذكرى!

صالِحْني عليَّ
لكي لا أبرد و أموت
بخطأ هويّة مصباحِ مكسورٍ /
زاويةٍ للّيلِ و دوران الإسفلتْ
و براءةِ من يقتل (خطأً)
فأموت خطأْ

(5)

قلبُكَ لن ينجيك.
الشعرُ قصاصةُ ورق
و كلامٌ مقلوعٌ من أوساخِ حواديتِ النسوةِ
أو طفحٌ من لاشيء

جرَبْ أن تعشقَ
أن ترتادَ زوايا امرأةٍ
مثل بناتٍ مكتملاتِ الحزنِ
و لا للأزرقْ

تنتظركَ أفواهُ عجائزِ قصصِ الشرِ
و لن يدعوك تـــمُرّ
و إلاّ
دون وسامتكَ المعهودة

كن جديّاً حين تحبَّ
و كن هزليّاً حين تدخن وعدك للبنتِ
و لا تعتزل التفاح الآخر
لا تحرق شفتيكَ بقول الصدق
تمدَّن من أجل اللونِ المتسامح في الكرز الجبلي
توسِّعْ في الشنقِ
و لـــمِّعْ شبَّاكَ الحلم لهن
و كُن هوساً مفضوح الصدرِ
و عِشْ
ستعيش خطأً

(6)

لم أجد المقهى –
أتذكرُ
نتمني أن نتجلطَ في عزلةِ دائرة
ليلاً
و بعيدا عن كل الأشياء المكسورةِ بالخارج
و نُحكُّ قصائدنا في لعب (الرستِ) المازحِ
و الممزوجِ بكركرةٍ عفويّة
– دورياتُ الأمن العطشى تبحث عنكْ
– لن يعطوكَ هواء
غير العادمِ في قبعةِ الضباطْ
ــ لو كان أبونا (ناصرُ) يعرفُ أن الذبحة سوف تعود
لكان يجيء أولادَ الفقراء معهْ

نضحكُ.. صفواً

حين يداهمنا بالمقهى

غَجَرُ كلامٍ عن حريةِ وطنٍ آخر

لا للوطنِ إذا أنجبنا

ثم دعانا للتمثيل عليه بدور البطلِ

إذا ألقانا بيض الكفِّ أمام الحاناتِ كلُقطاءْ

(7)

آهٍ..
لو خبأتُ قليلاً منّي قبل رحيلكْ
أو خبأتُ قليلاً منكْ
ما كنتُ بدونكَ خطأً آخر
أو متأخرْ

هدوء الضفةِ الأخرى

نادية

هلْ كلُّ شيءٍ هادىء في الضفَّةِ الأخرى ؟!

البحرُ مُتكىء على شطِّيْهِ ،
ذو قلب قريب
كان ينتظرُ التي انْتظرتْ هناكَ.
الوردُ أصدقُ ما رأتْ في الأرضِ عينُ فراشةٍ ،
و الأرض تخلعُ جاذبيَّتها و ترقص
عطرُها يُغري خلايا العشبِ أن تنسى و تذْكُرَ
لا يريدُ العشبُ ذاكرةً ليعطش
كلُّ ما يحتاجُه ماءٌ صغيرٌ لا يُحس

الماءُ يصنعُ من مفاتنهِ عرائس سُكَّرٍ
للقادمينَ من المكانِ المِلحِ ،
أبيضُ أو شفيفٌ
مثل نظرةِ طفلةٍ للغيبِ ،
يعرفُ أيَّ نافذةٍ ستفتحها النجومُ عليهِ ،
يعرفُ أيَّ نرجسةٍ
دعتْهُ إلى سريرٍ أخضر الطبقاتِ..
يعلو حيث لا سقفٌ لشيءٍ ما هناكَ.

الليلُ إيقاعٌ خفيفٌ ،
هكذا تَلِدُ السحابةُ لحنَها
و الناس نخلٌ واسعٌ
و يطيرُ ،
يقتسمُ السماء مع الطيورِ..
يقاسمُ الأشجار ضحكتَها هناكَ

اللون مُتفقٌ على حرّيَّةٍ سمراء
تهبطُ في شعاعِ الشمسِ ،
تضْبطُ كلَّ عاطفةٍ
على مقياسِ قلب عارفٍ
في وصْفهِ:
"زيتونة شرقيّةٌ غربيّةٌ..
و جناحُ قنبرةٍ تخاتلُ نفسها"
حُريّةٌ تُقصي الأساطير القديمة خارج التاريخِ ،
تهتف لا مكان هنا لجنديٍّ
و لا حتى لفلسفةٍ تقود إلى النهايةْ.

أصحو و أسألُ
يا تُرى
هلْ كلُّ شيءٍ هادىء في الضفَّةِ الأخرى؟

نادية

ذلكَ الذي تَحْت

نادية

أحْكي لَكمْ
عن موتِه العفوي جداً ،
خلْف نافذةٍ مُسيَّجةٍ
غياباً لا يزولُ و فوَّهاتٍ للمدى.

أحْكي لكُمْ
عن ضِحْكِه المهزوزِ
حينَ يفِر مِنْهُ إليهِ في المرآةِ ،
يَضْحكُ هازِئاً من نفسهِ ،
و يقولُ للجرْحِ
- الذي أبقاهُ موسى للحلاقةِ منذ عامٍ أو يزيدُ بذقْنه -
" أخطأتَ جُرْحي
لو هبطت إلى قليلٍ من دَمي
كنت انْتصرتَ
و كنتُ سميتُ الحديدَ بقاتلي
و نحوت منَي خالصاً "

أحكي لكمْ
عنْ أول السرطانِ في رِئتيهِ ،
عن صورِ الأشِعَّةِ..
بيَّـــنَتْ كهْفاً بهِ
-ألقى بها في النيلِ-
عن روْشِتَّةٍ
عجزتْ يداهُ عن الرموزِ / عن النقودِ
فخطَّ أنواعَ العلاجِ قصيدةً في ظهْرِها
- ألقى بها في جيب أول شارعٍ

أحكي لكمْ
عن صوتِهِ الريفي
يثمرُ كلَّ عامٍ رعْشة
بقراءةِ السُّوَرِ القصيرةِ و الدعاء
و آيةٍ (قُلْ يا عبادي)
مُسْرِفٌ
لكنْ يحبُّ اللهَ أكثر من أبيهِ
و عارفٌ.
لوْلا القصائدُ و السجائرُ
ما رأتْهُ العينُ إلاّ رَأْي غيمٍ صالحٍ.

أحكي لكمْ
عن عُزْلةٍ نزلتْ بهِ.
عن خوفهِ – من قلةِ الأشياء-
أن ينسى الكلامَ
فقال للجنِّيِّ:
زُرْني..
لا أخافُكَ ، لا تَخَفْ
زُرْني..
و نادِمْني قليلاً في القراءةِ للمعرِّيْ
هاتِ لي شِعْراً و خُذْ شِعراً
و بادِلْني الحديث ،
ألسْت تحْمِلُ هاتفاً ؟
أمْ أنت مِثْلي
لا تحبُّ الكهرباء و لا الهواتف و الرنينَ المعدني ؟

فكيف أنْطِقُ باسْمِكَ المجهول
هلْ هو هَكذا أمْ هكذا ؟
هلْ تحملُ اْسماً
أمْ بطاقاتُ الهويَّةِ
حوَّلتْكَ إلى مُجردِ خانةٍ
مثلي تماماً ؟
هلْ لكُمْ وطنٌ يشمُّ قلوبَكمْ
إن غاب أصْغرُكمْ
و جئتُمْ بالدماء على قميصٍ كاذب ؟"

أحكي لكمْ
عن سقفِ حجرتِه الذي سَكَنَتْهُ أشباحُ القبيلةِ
هارباً منهم يشدُّ مُلاءَةً
و يعض رُكْبتَه و يهتفُ:
" لا أحبُّ جنوبَكم
لو زُرْتموني كلَّ عامٍ مرَّةً
كنتُ احْتملتُ بَداوتي
و أدرْتُ ظهري للشمال
تركتُ خلْفي شبهة الإنسانِ في
رجعْتُ لي

أحكي لكمْ
عن فَقْدِهِ ،
فَلكمْ أحبَّ
و كمْ أصاب الفقدُ فيهِ حبيبة
- تِلْكَ التي
- تلكَ التي
- تلك التي
إلاّ التي تركتْهُ في هذيانهِ
ليرى بحلْمٍ ما:

"جرامافوْن بُنْيَّ الإطارِ
على الكُمُوْدِيْنوْ
و كانتْ (أسْمهان) تبيعُ قهوتَها
إلى فرسانِ أوْرُبَّا
تُغنَي

رغم أنَّ الشَّرْخ في صوتِ الجِرامافوْنِ
يشْبهُ لون كرْسيٍّ تآكلتِ القطيفةُ فيهِ
مِن صيفينِ
مِن صيفينِ
مِن...
يصْحو ليكتب باكياً

و نذرتِني للموتِ أوْفي ما نذرْتِ
كي تعرفي – رغم انْكساري – ما انْتصرْتِ
عن أي شيءٍ قدْ أعاتبُ فيكِ روحي
و أنا الذي اسْتحضرتُ روحاً ما حضرْتِ
كلّ الغياب عرفْتُهُ يوماً فيوماً
أحَدٌ مُحالٌ كمْ لهُ قدمتُ سَبْتِ
عمّا قليلٍ لن أرى غيري لِشكّي
فَبِكُلِّ شيءٍ جارحٌ حتّى بصوتي
لِغدٍ بسيطٍ سوفَ أهدي ذكرياتي
و ألُمُّ في كف المرايا ما كسرْتِ
و أرى بجُرحي ، أصْدقُ العيْنينِ جرحٌ
أُصغِي لأنْفاسي و قلبي رهْنُ وقتي

أحكي لكمْ
أحكي لكمْ عنَي
ألا فلتسمعوا
أوْ فاقْرؤوا ما قالَهُ السيَّابُ في (هرمَ المُغنِّي) :*
" و لتوهِموهُ بأنَّ من أبدٍ شباب من لحون
و هوًى تُرقرقُ مقلتاهُ لهُ ، و ينفخُ منْهُ فوهْ
هو مائِتٌ
أفتبخلون عليهِ حتى بالحطامِ من الأزاهرِ و الغصون
أصغوا إليهِ لتسمعوهْ
يرثي الشباب و لا كلامَ سوى نشيجٍ (بالعيون
سلِّمْ عليَّ إذا مررت)
أتى و سلَّم صدِّقوهْ
هرمَ المُغنِّي فارْحموهْ "
هرمَ الذي.

من قصيدة هرم المغني لبدر شاكر السياب

نادية

فيلم عربي

نادية

جُثث ،
تحاولُ أن تُهنْدمَ نفسها
لتكون أكثر جرأةً تحت الأضاءةِ
مُخْرِجٌ ،
من خلف مدفعِهِ يشيرُ إلى قتيلٍ:
-أنتَ ألمْ تمُتْ من قبل ؟!
حاولْ أن تجيدَ الموتَ في التصويرِ أكثر.
-لم أمُتْ من قَبل إلا مرتينِ..
و هذهِ ستكونُ آخر مرةٍ لأموت فيها.
-لا أريدُ الآن فلسفة ،
أريدُ لموتِكَ العفويِّ أنْ ينساب في اللقطاتِ
دون دمٍ يشوِّهُ رؤيتي

حسناً سأفعلُ ما تريدُ ،
فهلْ تعيدُ الآن روحي ،
كي نكرر مشهداً لا ينتهي ؟!

يحتاطُ ظلٌّ أن يمرَّ فيفسدَ الديكور ،
ينحاز الجدارُ
ليفصِل الشهداء عنْ أجسادهم ،
و على مسافةِ صرخةٍ
دبابةٌ تلقي عباءَتَها ،
و تجلس نصف هادئةٍ
لتضبطَ كلَّ زاويةٍ
لكاميرا
و تبدأُ في خمول على الأبراجِ
ينتبهُ الجميعُ ،
و فجأةً
يتدخَّل الأطفالُ
تشتبكُ المشاهدُ
تصعدُ الكلماتُ:
أن تختارَ هذا الموت..
يعني أن تعيش إلى النهاية.

ينتهي ما ينتهي أو ما سيبدأ.

أغمضتُ

نادية

أغمضتُ
رأيتُ سيوفاً و مشانقَ
و أسرّةَ من نامَ و لم يعرفْ
شكل الأحلامِ على جفنيهِ من الداخلْ
و رأيتُ ظلالاً تشبهُ من أعرفْ
تشبهُ أصحابي ،
أسماء حبيباتي ، تَبغي ، أوراقي ،
سُلم قافيتي ، نافذتي ، أوردتي، وجهي ،
صندوقَ الجَدةِ – لا مفتاح لهُ – ،
أمي – بليالي البردِ تدثرني —
كانتْ

يا صاحِ ،
أنا أغمضتُ رأيتُ حياتي ،
و صحوتُ كمنْ أخطأ في عدِّ أصابعهِ
و ترجَّل في بؤبئهِ ،
و تمهَّل من تيهٍ حطَّ على كتفيهِ
فأوغل في بئرٍ
و تساقط أحجاراً داخلهُ
و تشظَّى.. في القاعِ ،
القاعُ هنا قدماهُ إذا أقدمَ أو أخّرَ
أو أوقف رِئتيهِ على خيطينِ من الدخّانِ
و سلّم فوّهةِ الجسدِ إلى حرّاسِ الشعرِ ،
الأبديينَ ، القتلةِ و الكهّانِ ،
و من قالوا عطب التُّفاحُ

فقلنا يا قومُ ، التفاحُ هو التفاحُ
و إن عطب
و مال إلى الأرض من الأوجاعِ
و صاح
الأرض مقرٌّ و متاعٌ
سأقاومُ ما ينبتُ فوق يديَّ من الأوزانِ ،
أجاورُ فرسان الرمانِ ،
أعيدُ إلى الأرضِ بداوتها
و إلى الأقمارِ المنسيّةِ هيئتها الأولى

و صحوتُ ،
أرتبُ في صبري أوتارَ كمنجاتي ،
أهديها للبنتِ فتعزف
كم تعزفُ عني ،
لو تعزفُ منَي
لترفتُ على كفيَها
ما يكفي لكتابةِ آخر ديوانٍ قمري.

و صحوتُ ،
أدحرجُ زاويتي
كي يلعب أطفالُ الريفِ بها،
و بكلِّ خيال يتشكّل في يدِهِمْ
من طيني عرباتٌ ،
أفراس و جنودٌ ، أسلحة

ليخوض الحلمُ الحرب الخاسرةَ و يرجع مهزوماً
لبيوتِ البوصِ و أجرانِ القمحِ
و للطاحونِ الدائرِ – قعقعة –
دون طحين أو غَلَّةْ

و صحوتُ
أمهدُ من تلٍّ مُتناهٍ في الأبيضِ
أعشاشاً لطيورٍ
أتعبها التحليقُ بلا جدوى
فارتاحت للغربةِ ،
و اتكأتْ للفوضى

و صحوتُ
أزيح الأحمر ،
أزرعُ أشجاراً في خاصرة العَلمِ
و أهبطُ ،
أجدُ الأرض احمرّتْ
أصعدُ في جرح الوطنِ
و أجلو ذاكرةَ الألوانِ
و أيأس ،

أحفن من تربته ،
أتيممُ أصباغاً
و أعودُ إلى الأبيضِ كي أحرقَ أعشاشي

يا صاحِ.. تعبتُ و لم أقدرْ
جفناي اتسعا